مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢١ المجلد ١١/ العدد ١

المؤشرات المشتركة للمنهج الزمني في مدونات تاريخ الأدب

«دراسة ونقد في أمّهات كتب تاريخ الأدب العربي»

الدكتور حسين كيانى
أستاذ مشارک بقسم اللغة العربية وآدابها –جامعة شيراز

رؤيا محمدى
طالبة مرحلة الدكتوراه بقسم اللغة العربية و آدابها – جامعة الشهيد جمران بأهواز

البريد الإلكتروني Email : hkyanee@Yahoo.com

الكلمات المفتاحية: المنهج الزمني، جرجي زيدان، عمر فروخ، شوقي ضيف، حنا الفاخوري.

كيفية اقتباس البحث

كيانى ، حسين، رؤيا محمدى، المؤشرات المشتركة للمنهج الزمني في مدونات تاريخ الأدب «دراسة ونقد في أمّهات كتب تاريخ الأدب العربي»، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠٢١، المجلد:١١ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Common indicators of a Political approach in the history of Arabic Literature: A study of the greatest books on the history of Arabic Literature

Dr. Hossin Kiyani
Associate Professor in Arabic Language and Literature, University Of Shiraz,Iran

Roya. Mohammadi
Ph.D Student in Arabic Language and Literature University Of Shahid Chamran

Keywords : Political Approach, Gorgi Zaidan, omar faroukh , shoghi zeif, hana alfakhori.

How To Cite This Article
Kiyani, Hossin, Roya. Mohammadi, Common indicators of a Political approach in the history of Arabic Literature: A study of the greatest books on the history of Arabic Literature, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2021,Volume:11,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Extended abstract

1- INTRODUCTION

The history of Arabic literature includes the history of what happened and experienced in the last Arab nation. Collecting these experiences and illuminating all its contributing elements, represents the main foundation for a

sound and stable character, therefore, it seems necessary to classify the literature history and its time periods into different distinct divisions. For this reason, most writers of literature history have categorized the history of Arabic literature based on various approaches so that they would be able to simply reveal the movement of literature. These approaches consist of political, climatic, cultural, ethnic ones, as well as literary schools and genres. The political approach is the most common one noticed in the history of Arabic literature. By following this approach, many writers of Arabic literature have attempted to classify its history into various divisions in accordance with their respective political periods.

2- THEORETICAL FRAMEWORK

The purpose of the present study is to explain the Common indicators of political approach found in history of Arabic literature. In this line, the four following books written based on political approach and regarded as the most known works in the context of literature history writing were studied and examined: The History literature of Arabic language by Jurji Zaidan, The history of Arabic literature by omar faroukh, the history of Arabic literature by shoghi zeif, Inclusive in the history of Arabic literature by Hanna Al Fakhouri.

3- METHODOLOGY

By applying an integrated method, the descriptive method was used for presenting the theoretical principles and the complete inductive method and qualitative content analysis were conducted for analyzing the findings. The Common indicators of political approach were attained by means of qualitative content analysis.

4- RESULTS & DISCUSSION& CONCLUSIONS

The findings Common indicators that these four books written based on political approach possesses some common Common indicators that can be summarized into following issues: main and sub classification, preliminary discussion, presentation of features of literature of each period and biographies of literary men. The four books have followed the same political approach that is applied in the first book. Therefore, the books written after Jurji Zaidan's book, have not excluded his particular concepts and methods and it can be said that these four books share much commonalities.

Without any criticism, analysis and interpretation, Jurji Zaidan and omar Faroukh have merely gathered and narrated the contents and have not

thoroughly examined any writer or poet, therefore it can be said that their books are like an encyclopedia encompassing history of Arabic literature and biographies of literary men. On the other hand, shoghi zeif and Hanna Al Fakhouri have applied critical, interpretive and analytic approach to investigate literary men's works. However, it can be concluded that history of literature writing have experienced ascending movement, since by coming closer to present time, these four books written based on political approach need to receive more analysis and interpretation.

الملخص

تاريخ الأدب العربي هو مكوّن من مكوّنات التراث العربي على اعتبار أنّه أضخم مدونة للأدب العربي خلال القرن العشرين ومن هذا المنطلق قام المؤرخون بتقسيمه على أساس المناهج المختلفة لتسهيل بيان سير الآداب. المنهج الزمني هو المنهج الغالب في تاريخ الأدب العربي، قد اختاره كثير من المؤرخين العرب في تقسيمهم، آخذين في حسبانهم العصور السياسية.

استهدف هذا البحث إلى استخراج المؤشرات المشتركة للمنهج الزمني في تاريخ الأدب العربي معتمداً على كتب «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان، و«تاريخ الأدب العربي» لعمر فروخ، و«تاريخ الأدب العربي » لشوقي ضيف، و« الجامع في تاريخ الأدب العربي » لحنا الفاخوري، التي دوّنت على أساس المنهج الزمني وتعدّ من أكثر المؤلفات شهرة. و للوصول إلى هذا الهدف اختار البحث منهج تحليل المضمون الكيفي أساساً لدراسته.

وأخيراً وصل البحث إلى أنّ هذه الكتب الأربعة تعتمد على المؤشرات المشتركة التي يمكن حصرها في: التقسيم السياسي، والمقدمات التاريخيّة، و ميزة العصر، و التراجم ووصل إلى أنّ هذه الكتب الأربعة تسير في تاريخ الأدب وتقسيمه على ما سار عليه أول الكتاب الذي ألّف على أساس المنهج الزمني، فما جاء بعد كتاب زيدان من كتب في تاريخ الأدب العربي لايخرج عما ورد في كتاب جرجي زيدان من مؤشرات و أنّ التأليف في مادة تاريخ الأدب يسير سيراً صعودياً كلّما تتقرّب هذه الكتب الأربعة من العصر الراهن و يزداد فيها الاهتمام بالتحليل والتعليل والتفسير.

١-المقدمة

نظراً لأهمية تاريخ الأدب قام كثير من الباحثين بتقسيمه لتسهيل بيان سير الآداب في رقيها أو تخلّفها لأنّ دراسة تاريخ مديد كتاريخ الأدب العربي لاتتمخض عن نتائج دقيقة مالم يخضع لشكل من التقسيم[١]. لهذا قسّمه المؤرخوون إلى أقسام على أساس مناهج مختلفة، إلّا أنّ المنهج الزمني هو المنهج الغالب إذ المؤلفات فيه تفوق عشرين عدداً[٢]. منذ أن وضع أندري

دوشيسون كتابه «تاريخ فرنسا الأدبي» سنة ١٧٦٨م منتحياً هذا المنهج، أخذ معظم المؤرخين طريقة التقسيم الزمني في أعمالهم الواحد بعد الآخر. وقد أخذ بهذا المنهج في العربية جمع من المستشرقين والكتّاب العرب، وجاءت تواريخهم مقسمة إلى عصور أدبية تتّفق والعصورَ السياسيةَ في التاريخ العام.[٣] من المستشرقين: كارل بروكلمان (١٨٩٨م)، ونالينو (١٩٤٨م) وبلاشير (١٩٥٢م). ومن العرب: جرجي زيدان (١٩١١م)، والزيات (١٩١٦م)، وأحمد الإسكندري ومصطفى العناني (١٩١٩م)، وحنا الفاخوري (١٩٥١م) وشوقي ضيف (١٩٦٠م)، وعمر فروخ (١٩٦٩م).

وهذا البحث ينوي استخراج المؤشرات المشتركة في كتب «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان، و«تاريخ الأدب العربي» لعمر فروخ، و«تاريخ الأدب العربي» لشوقي ضيف، و«الجامع في تاريخ الأدب العربي» لحنا الفاخوري، لأنّها غزيرة المادة، وتعدّ من أشهر الكتب التي تؤرخ للأدب العربي حسب المنهج الزمني، بعضها قديم ظهر منذ بدأ المؤرخون العرب التأليف في تاريخ الأدب العربي وبعضها حديث ظهرت في السنوات الأخيرة.وبما أنّ المنهج الزمني هو أوّل المناهج وأقدمها وأكثرها شيوعاً في القديم وفي الحديث، وبما أنّ أكثر الكتب التي ألّفت في مجال تاريخ الأدب العربي يعتمد على هذا المنهج فمن الضروري أن يقوم البحث بتبيين مؤشراته في أشهر المؤرخين.

١-١خلفية البحث

بالنسبة إلى مؤشرات المنهج الزمني فلا نكاد نحصل على دراسة وافية للموضوع فيها، إلّا أنّه ثمة دراسات تمّ إنجازها في تقسيم تاريخ الأدب ومناهجه وخاصة المنهج الزمني؛ فيمكن الإشارة إلى:

_ فيصل (١٩٦٥ م) هو يتطرق خلال كتابه إلى مناهج تقسيم تاريخ الأدب العربي ومنها: منهج التقسيم الزمني، والتقسيم إلى الفنون الأدبية، والمذاهب الفنية، والجنس، والإقليم والثقافة. ويرى أن للوصول إلى رؤية مبتعدة عن الخطاء يجب استخدام مختلف الطرق التي يأخذ بعضها برقاب بعض حتى يحقق الهدف الأبعد .

_ حسين (١٩٧٣م) يهتمّ بمقاييس الأدب العربي ومنها: المقياس السياسي، والمقياس العلمي والمقياس الأدبي، ويقوم بنقد وتحليلها وأخيراً هو ينكر هذه المقاييس أشدّ الإنكار، ويرى أنّه من الضروري أن يقوم المنهج بالجمع بين التحليل العلمي والذوق الفني.

_ الواد (١٩٩٣ م) هو يدرس في كتابه الأسلوب الذي أرخ به زيدان، والزيات، والرافعي وطه

حسين، والطرق التي لجؤوا إليها في مؤلفاتهم ومنها : الوحدات الغرضية، والزمنية والفنية. وهو يرى أنّ الوحدات الغرضية، و الزمنية أو الفنية لا تمكّن أصحابه من السيطرة على واقع الحركة والتحول في تاريخ الأدب، فقد كانت في كل منها مزايا وقضايا ظاهرة .

_ أفضلي (١٣٨٢ ش) قام بنقد وتحليل مناهج تاريخ الأدب العربي ووصل أخيراً إلى أنّ نظرية ما من هذه النظريات لم تستطع أن تقوم وحدها بأعباء الدراسة وتفى بحق المنهج الصحيح في تاريخ الأدب.

_فتوحي (١٣٨٧ش) يعالج تقسيم تاريخ الأدب ومعايير هذا التقسيم ومنها: المعيار السياسي ويرى أنّ هذا المعيار ليس معياراً صحيحاً في تقسيم تاريخ الأدب لأنّه لا يهتمّ بأدب الطفل أو أدب النساء وينظر إلى قمة الأدب، أخيراً يقترح أنّ تاريخ الأدب بحاجة إلى إعادة النظر لتحريره من وطأة هذه المناهج وعليه أن يسجّل تغيير معنى الأدب طوال العصور .

_ سيدي (١٣٨٨ ش) يتناول اتجاهات تاريخ الأدب ومنها : الاتجاه التقليدي، والاتجاه العلمي والاتجاه الهرمينوطيقي، ويقوم بتحليل هذه الاتجاهات وفي النهاية يستنتج أنّ الاتجاه التقليدي يسلط الضوء على المؤلف في حين اتجاه الحديث يهتمّ بالمخاطب. وفي بحثه الآخر (١٣٨٩ ش) يهتمّ بمناهج تقسيم تاريخ الأدب العربي ويصل إلى أنّ لكل هذه المناهج ميزات ومآخذ ولايمكننا أن نعتمد على منهج واحد في تقسيم تاريخ الأدب .

_ أفضلي (١٣٩١ ش) يتطرق إلى التقسيم السياسي لتاريخ الأدب العربي في مقالته إلّا أنّه لا يفصل الكلام بل يمرّ عليه سريعاً وقد تمّ نقد وتحليل التقسيم السياسي في هذه المقالة في غاية الإجمال. وفي النهاية يستنتج أنّ تاريخ الأدب فرض عليه أن يقوم بتسجيل التغييرات التي طرأت على معنى الأدب طوال العصور .

_ گنجيان خناري وحسيني (١٣٩١ ش) قد أشارا في دراستهما إلى تقسيم تاريخ الأدب والعصور الأدبية وميزاتها وقاما بنقد أسماء أدوار تاريخ الأدب العربي وفي النهاية وصلا إلى أنّ من الأفضل أن نسمّى عصراً كالعصر الجاهلي، بعصر الأدب القبلي والعصر الأموي، عصر الأدب الحزبي وليس من الصحيح أن نسمّى العصر العباسي بهذا الاسم لأنّنا لا يمكننا أن نغمض عيوننا عن تأثير الإيرانيين في أدب هذا العصر.

حسن الطالب(٢٠٠٨) يدرس الأسس المعرفية التي نهض عليها التاريخ الأدبي دون أن يشير إلى رصد تاريخي لمفهوم التاريخ الأدبي بمدارسه ومناهجه ونظرياته وحقبه أو عصوره. هو يُعنى برصد نظري لتطبيقات المفهوم، لممارسة التاريخ الأدبي وفق مرتكزات وأسس نظرية ناهضة على وعي نقدي جديد.

زيغمي(٢٠١٦)تناولت دراسته مسألةَ المنهج الذي كتب به تاريخ الأدب العربي خلال القرن العشرين. انطلقت الدراسة من فرضية أن مسالة المنهج الذي أُرِّخَ له في القرن العشرين قد خضعت لعملية نمذجة غربية و بدأت مع جهود المستشرقين الأوائل و إثر ذلك تبع بعض المؤرخون العرب الأوائل مناهج المستشرقين. وأخيراً أكد على إلحاح كثير من الباحثين على ضرورة مراجعة تاريخ الأدب العربي وفق احتياجات و توقعات الأجيال الحالية و وفق الشروط الثقافية و التاريخية التي تعيشها الأوطان العربية.

هذه الدراسات أمدتنا ببعض الأفكار والمعلومات الرئيسية التي لا غنى عنها وسددتنا في كثير من الآراء، وأمّا ما بصدده هذا البحث فهو دراسة أربعة الكتب المختارة التي أُلّفت معتمدة على أساس المنهج الزمني، وتبيين المؤشرات المشتركة فيها.

١-٢منهج البحث

اختار البحث المنهج المتكامل أساساً لدراسته. تمّ تكوين البحث وتحليله في مرحلة التوصيف باتباعه المنهج الوصفي و في مرحلة التحليل باعتماده على المنهج الاستقرائي الكامل و منهج تحليل المضمون الكيفي. والمنهج الاستقرائي الكامل هو المنهج الذي يهتم بقراءة كافة المعلومات حول جزئية البحث قبل إصدار القرار العام حولها ويساهم في تقديم نتائج دقيقة وصحيحة.[٤] و على هذا الأساس قام البحث بقراءة كل مجلدات هذه الكتب الأربعة ثمّ استمد من منهج تحليل المضمون لكشف المؤشرات المشتركة.

تعتمد هذه الدراسة على أربعة كتب في تاريخ الأدب العربي التي أُلّفت في فترات مختلفة. ظهر كتاب زيدان وكان التأليف في تاريخ الأدب العربي تاسيساً على المنهج الزمني في ابتدائه، في حين أنّ الكتب الأخرى ظهرت بعد نضج هذا المنهج، مع هذا قد تأثّر بعضهم بعضاً وكل منهم يسير في تقسيم تاريخ الأدب على ما سار إليه من قبله. وفقاً لذلك فثمة تشابه كبير في هذه الكتب الأربعة وقد رأى البحث اعتماداً على هذا التشابه، أن يجمع بين هذه الكتب الأربعة ويعدّها كعمل واحد يمثّل سائر الكتب التي ألفت على أساس المنهج الزمني. إذن إنّ هذا الجمع بين هذه الكتب الأربعة يمكّن البحث من الوقوف على ما تختص به الكتب المؤلفة حسب المنهج الزمني من المؤشرات التي يمكن حصرها في: التقسيم السياسي، والمقدمات التاريخيّة، وميزة العصر، والتراجم. وجعل البحث هذه المشتركات كمؤشر للمنهج الزمني لتكرارها في كل مجلداتها. وكل من هؤلاء المؤرخين الأربعة اتبعوا في تصنيف هذه المؤشرات وترتيبها والتعريف بها طريقة واحدة.

١-٣سؤال البحث

هذا البحث يحاول ليفصح عن إجابة هذا السؤال و هو : ما هي المؤشرات المشتركة التي اعتمد عليها المنهج الزمني في نقده وتحليله في أهم كتب تاريخ الأدب العربي؟

٢-المنهج الزمني

ويقسّم هذا المنهج، الأدب إلى عصور توازي عصور السياسة، ويحاول أن يجعل كلّ عصر من عصور الأدب متميّزاً بسمات خاصة. وهو منهج يصنف حاليّاً في المناهج التقليدية التي توصف- في العادة – بأنّها تقارب النص الأدبي من الخارج و يعرف بأنّه المنهج الّذي يتّخذ من حوادث التاريخ السياسي وسيلةً لفهم الأدب ودرسه وتحليل ظواهره المختلفة[٥]. يرجع ظهوره إلى سنة ١٧٦٧م منذ وضع أندري دوشيسون كتابه«تاريخ فرانسا الأدبي»، أمّا بذوره الأولى في الأدب العربي فترجع إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. فقد استعيرت من المستشرقين الأوروبيين الذين عنوا بالأدب العربي ضمن ما عنوا به من دراسة الحضارة الإسلامية من أجل إخضاع العالم الإسلامي للسيطرة الأوروبية عن طريق فهم هذه الحضارة أوّلاً، وعن طريق تشويه معالمها في نفوس أهلها ثانياً. إذن هذا المنهج كان نتيجة للامتزاج بالدراسات الأجنبية، وثمرة من ثمرات الصلة بالآداب الأوروبية.[٦]

وقد نشأ هذا المنهج من نظرية تين ، وهو بنى نظريته على أساس ثلاثة عوامل، هي: الجنس، والبيئة والعصر وطبّقها على الأدب الإنجليزي في كتابه «تاريخ الأدب الإنجليزي». أخضع تين الأدب والأديب معاً خاضعاً تامّاً جبريّاً بهذه المعايير، والمنهج الزمني نهج منهج تين وفهم تاريخ الأدب على ضوء هذه النظرية التي سادت الدراسات الأدبية مع تين في القرن التاسع عشر لكنّه لم يتعمّق هذا الفهم ولم يحمل نفسه على أن يتمرّس به فنظرية تين تعني بالجنس و الزمن و البيئة، غير أنّ المنهج الزمني أهمل من البيئة، البيئة الطبيعية، ولم يتمسّك من البيئة الاجتماعية بغير اللون السياسي بنوع خاص.[٧]

إنّ أوّل محاولة أوروبية لكتابة تاريخ الأدب العربي على أساس هذا المنهج، ترجع إلى المستشرق النمساوي هامر بورجشتال سنة ١٨٥٠م، ثمَّ ألّف مستشرق نمساوي آخر هو ألفريد فون كريمر كتابه «تاريخ الحضارة في الشرق في ظلّ الخلفاء» في مجلدين سنة ١٨٧٧م.[٨] ثمّ ظهرت محاولات متتابعة على مدى زمني محدود، ومن هذه المحاولات كتاب آربوتنوت سنة١٨٩٠م، وبعد هذا قفز تاريخ الأدب العربي شوطاً كبيراً على يد كارل بروكلمان سنة ١٨٩٨م وهو لا يقتصر كتابه على الأدب بل يتناول كلّ ألوان الفكر العربي، ثمّ تبعه كليمن هوار سنة ١٩٠٢م في كتابه «الأدب العربي»، وايتالو بيتزي سنة ١٩٠٣م في كتابه «الأدب العربي»، وديخوير سنة ١٩٠٦م وغيرهم كنيكلسون سنة ١٩٠٧م في كتابه «تاريخ الأدب

العربي»، ونالينو سنة ١٩٤٨م وبلاشير سنة ١٩٥٢ م و...[٩] قد أخذ بهذا المنهج جمع من كتّاب العرب، فجاءت تواريخهم مقسمة إلى عصور أدبية تتفق العصور السياسية منهم: حسن توفيق العدل، وجرجي زيدان، وأحمد الإسكندري، وأحمد حسن الزيات، وعمر فروخ و...

يقوم هذا المنهج على «تلك النظرية التي تربط الأدب بالسياسة و تجعل أقسام التاريخ السياسي أقساماً لتاريخ الأدب. فالآداب في نظر مؤرخيها حسب المنهج الزمني، لا تعدو أن تكون مرآة تجلو حال الأمة التي أبدعتها. وآية ذلك عندهم، أنّ النصوص الأدبية تحمل طابع السياسة والاجتماع، وأنّ كلّ ما يحدث فيهما من تقلّب وتحوّل يبدو على صفحتها واضحاً، ثمّ إنّ الحدث السياسي، فيما يرى أصحاب هذا المنهج، كفيل، في حدّ ذاته، بنقل الحياة الاجتماعية من حال إلى حال، وبما أنّ الأدب يتبع الاجتماع في كلّ ما يمرّ به من أطوار الرقي والانحطاط، فإنّ الحدث السياسي أيضاً ينقل الآداب من حال إلى حال. لذلك فإنّ عصور التاريخ السياسي الراقية هي أيضاً عصور تاريخ الأدب الراقية وعصور التاريخ السياسي المنحطة هي كذلك عصور تاريخ الأدب المنحطة. ولذلك أيضاً فإنّ حدود عصور التاريخ السياسي هي حدود عصور التاريخ الأدبي»[١٠] إذن يتّخذ المنهج الزمني من الحوادث السياسية وسيلة لتفسير الأدب و يرى أنّ الطابع السياسي لازم لفهم الأدب وتفسيره، لهذا يتّخذ منه وسيلة لفهم الأدب وتفسيره.

٣-المؤشرات المشتركة للمنهج الزمني

بعد دراسة الكتب الأربعة وصل البحث إلى أنّ المؤشرات المشتركة تنحصر في التقسيم السياسي، والمقدمات التاريخيّة، وميزة العصر، والتراجم. وجعل هذه المواضيع كمؤشر مشترك للمنهج الزمني لتكرارها فيها.

٣-١التقسيم السياسي

الوعي بمسألة المنهج في هذه الكتب الأربعة جاء متفاوتاً، يكشف زيدان عن منهجين في مقدمة كتابه قائلاً: ترددنا كثيراً في الخطة التي نتخذها في تقسيم هذا الكتاب بين أن نقسمه حسب العلوم أو حسب العصور ومعنى قسمته حسب العلوم أن نستوفي الكلام في كلّ علم على حدة من نشأته إلى الآن، على أن نبدأ بأقدمها فنذكر تاريخ الشعر مثلاً وتراجم الشعراء وما تقلّب على الشعر من أوّل عهده إلى الآن. أمّا قسمته حسب العصور فيراد بها الكلام من أحوال العلوم معاً في كلّ عصر على حدة وهذا الذي اخترناه[١١] عرض للقارئ منهجين واختار أحدهما دون أن يبيّن أسباب الاختيار. أمّا عمر فروخ فيخصّص مقدمة كتابه لمسألة المنهج ويرى أنّ منهجه منهج عربي خالص وأنّه لايأخذ من المنهج الفرنجي إلّا ما نقص من المنهج العربي.[١٢] وهو يقتصر على الاكتفاء بالمنهج الزمني في تقسيم تاريخ الأدب العربي ويرى أنّ المنهج الزمني

منهج عربى. أمّا شوقي ضيف فيؤكدّ أنّ منهجه منهج جديد مبنياً على تقلّب الأحوال السياسية والإقليم ولهذا يختلف عن منهج المؤرخين الآخرين في التاريخ للأدب العربي لأنّه فضلاً عن الزمان يهتم بالمكان ويظهر ذلك في عصر الدول والإمارات وهو يعبّر عن هذا قائلاً: ولا أشكّ في أنّ هذا التقسيم الجديد لعصور الأدب العربي أكثر دقة ومطابقة لتطوره وللظروف المختلفة التي أثرت فيه فإنّ بغداد لم تعد منذ القرن الرابع الهجري تحتل المكانة الأولى في الحركات الأدبية، بل لقد نافستها في الشرق والغرب مدن كثيرة تفوقت عليها في النهوض بالشعر والنثر تفوقاً واضحاً.(١٣) أمّا حنا الفاخوري فلم يتحدّث عن منهجه في كتابه إلّا أنّه يقوم بتقسيم تاريخ الأدب معتمداً على الناحيتين: ناحية أصالة اللغة العربية وناحية علاقة الأدب بالبيئة السياسية.

و«لاشكّ أنّ تاريخ الأدب شديد الصلة بالتاريخ السياسي، وأنّ بين الأدب والتاريخ السياسي صلات من القربى، وقد تكون هذه الصلات في الأدب العربي أقوى منها في كلّ أدب آخر، لكن مهما يكن من أمر هذه الصلات، ومهما يكن من تداخل السياسة والأدب، فإنّ ذلك كلّه لا يقنعنا بصواب هذا الذي اصطنعه هؤلاء إذ اعتمدوا على تقسيم تاريخ الأدب تقسيماً سياسياً وعلى تبعية الأدب ومطابقته بالسياسة».(١٤) لأنّ الأدب ليس علماً يسهل على الناس تغييره بقيام دولة وسقوط دولة، وإنّما هو ثمار للنفوس، ونتاج للعواطف والعقول، فلابدّ من أن تمرّ عليها حقبة من الزمن لينسلخ من ماضيه، أو لينسلخ عنه ماضيه ولقد يتأبى الماضى على أن ينسلخ كلّه، فتبقى منه آثار ومظاهر تبدو في انتاج الأدباء عن قصد وعن غير قصد.(١٥) بالتالي الحياة السياسية لا تصلح مطلقاً لأن تكون مقياساً للحياة الأدبية، وإنّما الحياة السياسة كغيرها من المؤثرات، كالحياة الاجتماعية، والاقتصادية و الثقافية تبعث النشاط في الأدب حيناً وتضطره إلى الجمود حيناً آخر.

مع أنّه قد أخذ كل واحد من هؤلاء المؤرخين الأربعة بالمنهج الزمني في تقسيمهم لتاريخ الأدب العربي، لكن عدد العصور الأدبية يختلف عندهم. فهذه العصور سبعة عند زيدان، وهي خمسة عند عمر فروخ وضيف، وهي سبعة عند الفاخوري. إذن فهؤلاء عالجوا الأدب العربي في مدة زمنية واحدة تبدأ بالعصر الجاهلي وتنتهي إلى العصر الحديث، لكنّهم اختلفوا في عدد العصور. بحيث جعلوا أقسام ثانوية داخل العصر الواحد. وهذا جرجي زيدان يقسم العصر الجاهلي إلى قسمين قائلاً: قسّمنا آدابها قبل الإسلام إلى عصرين: عصر الجاهلية الأولى وعصر الجاهلية الثانية (١٦)والعصر العباسي إلى أربعة أقسام حسب التقلبات السياسية التي وقعت في هذا العصر. أمّا عمر فروخ فهو يقوم بتقسيم العصر العباسي إلى أقسام عديدة حسب الدويلات التي ظهرت في هذا العصر ويدرس كل منها دراسة مستقلة ويذهب إلى أنّ هذا العصر

يمتدّ إلى سنة «٩٢٣هـ» حيث يعتبر العصر المملوكي جزءاً من العصر العباسي، وشوقي ضيف يقتصر تقسيمه للعصر العباسي على العصر العباسي الأول والعصر العباسي الثاني، أمّا حنا الفاخوري فهو يقوم بتقسيم هذا العصر إلى ثلاثة أقسام وذلك بالنظر إلى النفوذ المسيطر والقوة التي تهيمن وتوجّه. إذن يظهر أنّ الاختلاف في عدد العصور إنّما يكثر بين هؤلاء المؤرخين في العصر العباسي إذ جعله بعضهم عصراً أدبياً واحداً وجعله بعضهم الآخر عصرين أدبين، وجعله بعضهم الثالث ثلاثة عصور أدبية.

فضلاً عن العصر العباسي فيكثر خلافهم في العصر الأموي والانحطاط. على سبيل المثال عصر صدر الإسلام يعدّ عصراً أدبياً بنفسه عند جرجي زيدان، وعمر فروخ وشوقي ضيف، ولكنّه يضيف إلى العصر الأموي فيكوّن معه عصراً أدبياً عند الفاخوري. والعصر المغولي يعدّ عصراً أدبياً عند زيدان، ويضيف إلى العصر العثماني فيكوّن معه عصراً أدبياً يطلق عليه اسم عصر الانحطاط عند الفاخوري، في حين فروخ يضيف العصر المغولي والعثماني بعضهما إلى بعض ويجعل منهما عصراً أدبياً ويطلق عليه اسم عصر المماليك ويتناوله في ظلّ العصر العباسي. فضلاً عن هذا، ممّا قد اختلفوا فيه من العصور هو العصر الأندلسي، والبعض قاموا بدراسة أدب الشرق والغرب في نطاق واحد وجعلوا دراسة الأدب الأندلسي في أكثر الأحيان في مطاوي العصر العباسي كجرجي زيدان، والبعض جعلوه عصراً أدبياً مستقلا بذاته كعمر فروخ وحنا الفاخوري. ويبدو أنّ هذا الاختلاف راجع إلى أنّهم وجدوا الأدب لا يخضع للمنهج الزمني، لهذا بحثوا عن أساليب أشمل وأدق ومناهج أخرى خلال هذا المنهج الذي قد سيطر على كتبهم.

٣-٢المقدمات التاريخية

والمقدمات التاريخيّة تعدّ إحدى المؤشرات المشتركة بين الكتب الأربعة. وتحاول هذه الكتب إرصاد العلل الكامنة وراء الوقائع الأدبية، فتدرس الأدب في علاقته بالسياسة، والاقتصاد، والثقافة والبيئة التي ظهر فيها، لأنّ مؤلفيها يرون أنّ معرفة هذه المقدمات التاريخيّة لازمة لا غنى عنها لدراسة الأدب وتفسيره. وكلّ هذا يرجع إلى أنّهم لاينظرون إلى النص الأدبي على أنّه عالم مستقل بذاته بل ينظرون إليه على أنّه حقيقة سياسية، واجتماعية، واقتصادية وثقافية كذلك.

٣-٢-١الحياة السياسية

تبدأ مقدمات هذه الكتب بالحديث عن الحياة السياسية وما حدث فيها لأنّ العامل السياسي هو الذي يمكّن من تقسيم تاريخ الأدب إلى عصور وهو الذي يعطى لكلّ عصر

خصائصها الأدبية. إذن يُعالَج العامل السياسي في مقدماتها قبل العوامل الأخرى، لأنّه هو الطريقة المثلى للسيطرة على الوقائع الأدبية وتتبع حركتها منذ الجاهلية إلى الآن. تبدأ دراسة الحياة السياسية بذكر حالة السياسة من قوتها وضعفها في كلّ العصور، لأنهم يرون أنّ الأدب واللغة يتأثران بالسياسة ويرتبطان بها قوةً وضعفاً واعتدالاً وفساداً. فيقولون عن العصر إنّه عصر ازدهار الأدب إذا كانت حالته السياسية مستقيمة، أو إنّه عصرتأخر الأدب وانحطاطه، إذا اعوجّت السياسة وكثر الصراع والنزاع سواء في الداخل أو الخارج.نعم ربّما اقترن ضعفُ السياسة وفساد حالتها بخمود في النفوس ويأس في العزيمة فيضعف الأدب ويجمد وتفسد اللغة وتركد فيتأثّر الأدب بالانحطاط السياسي، لكن من الخطأ البيّن على الأدب جعل تلك قاعدةً وتطبيقها على كلّ الشؤون. إذ ليس من المحتوم أن يتصل كلّ أديب أو عالم بالسياسة فيتأثر بها قوة وضعفاً ورقياً وانحطاطاً حتّى يكون هذا الحكم عاماً شاملاً.(١٧) إذن فالأدب لايدور مع السياسة دائماً، فلكلّ من هاتين الحياتين جوهرها الخاص، وستظلّ للحياة الأدبية روحها لأنّها ثمرة لعوامل كثيرة ولن يستطيع عامل واحد سياسياً كان أو اجتماعياً أو... أن يقوم بتبيينها.

ثمّ تهتمّ هذه الكتب في حديثها عن الحياة السياسية بذكر الخلفاء، وأخلاقهم وأوضاع المجتمع في عصورهم وبعد ذلك في حروبهم وفتوحاتهم، واهتمامهم بالأدب والأدباء والعلم والعلماء، ورغبتهم في تقريب الأدباء والعلماء وبذلهم لهم الأموال الطائلة، لأنهم يرون أنّ الأدب لايزدهر ولايثمر إلّا في ظلّ ملك يتعهده. فهؤلاء يذهبون إلى أنّ الأدب تابع لحال الخلفاء والأمراء من حبهم للأدب أو بغضهم له، وأنّ لكلّ ذلك أثراً في الأديب وأدبه، وفي تليين عبارته أو تخشينها، وفي التصريح أو التلميح، وفي الإجمال أو التفصيل. هكذا فهم يرون أنّ الأدب يحوم حول مقرّ سياسة السلطة الحاكمة.

٣-٢-٢الحياة الاجتماعية

وصف المجتمع، وطبقاته، وأوضاعه وموقعه الجغرافي هو من الموضوعات التي وقفت عليها هذه الكتب الأربعة في مقدماتها التاريخيّة لأنّ أصحابها يرون أنّ لكلّ بيئة خصائصها التي تنفرد فيها بين الأقاليم، وتؤثر في الحياة الأدبية. فالأدب عندهم هو نتاج المجتمع وظروفه، هو انعكاس للحياة، بأبعادها كافة، فلهذا يجعلون التاريخ الاجتماعي والتاريخ السياسي ضرورة حتمية لفهم الأدب وتفسيره والحكم عليه. والملاحظ في دراستهم المجتمع أنّهم –سوى شوقي ضيف في عصر الدول والإمارات – يسلطون الضوء على العاصمة، على سبيل المثال في العصر العباسي يهتمّون ببغداد وما حول بغداد على حين يهملون كلّ الأقطار الأخرى والأقاليم الثانوية متأثرين في ذلك المنهج الزمني الذي يتخذ السياسة مقياساً للأدب.

وإذ كانت البيئة مختلفة المظاهر، متباينة النزعات، فلا يخلو أن يختلف الأدب في مظاهره ونزعاته بين إقليم وآخر، وإن لم يكن الاختلاف جوهرياً. وهكذا ظهرت في حلب الخطب الدينية لكثرة الغزوات والحروب التي كان يشنّها سيف الدولة على الروم. وتحلّى الشعر الشامي بالجزالة والفصاحة لقرب أهل الشام من خطط العرب وابتعادهم عن عمق الثقافة الجديدة، واجتمع في أدب العراق أثر الفلسفة والاجتماع لمداخلتهم مع الأعاجم. وظهرت الموشحات في الأندلس لشيوع الغناء ولين العيش، كما ظهرت المقامات وشعر التسول والأسلوب المحلّى بالسجع والبديع في فارس.[١٨] وعبّر زيدان عن ذلك بقوله: «الإنسان صنيعة الإقليم، فتتغيّر أطواره وأحواله بتغيّر البيئة المحيطة به. ويظهر أثر ذلك في نتاج قريحته أو فكرته. وقد رأيت أنّ العرب اختلفت أحوالهم في العصر الأموي عما كانت عليه في زمن الجاهلية أو في زمن صدر الإسلام وظهر أثر ذلك في ثمار قرائحهم وخصوصاً الشعر»[١٩]

إذن فمن المفروض أن يقوم هؤلاء بدراسة البيئات المختلفة في العالم الإسلامي التي ظهرت لها شخصياتها الأدبية لأنّ من الإثم معالجة بغداد وحدها في الخلافة العباسية بوصفها مركزاً للخلافة لأنّه فقد ظهر شعراء في هذا العصر في مصر، وسوريا، والأندلس، وحلب و... إذن فمن الظلم أن يتخذ مجتمع بغداد مقياساً لهؤلاء الشعراء كلّهم، لذلك لن تكون بغداد أو دمشق أو القاهرة أو غيرها وحدها محور الدراسة فهذه المدن ليست إلّا مظهراً من مظاهر الحركة الأدبية، ولكن الحركة الأدبية لا تدور عليها وحدها؛ وهي على أنّها تمثّل الرأس من هذه الأقاليم، غير أنّ للأطراف أثرها في تلوين الأدب. إذن فالدراسة الصحيحة تقتضي هذا النظر الواسع. وقد يكون الاهتمام بالأطراف أكثر أهمية على قضايا الأدب من الاهتمام بالعواصم التي تعطي من الأدب وجهه الرسمي.[٢٠]

٣-٢-٣الحياة الاقتصادية

العامل الآخر الذي يعالجونه في مقدماتهم التاريخيّة هي الحياة الاقتصادية. في رأيهم أنّ الاقتصاد يلعب دوراً رئيسياً في مجرى الأدب، ويمسك بزمامه، ويوجهه أينما شاء. وأنّ الأدب يلزم الاقتصاد في مسيره ويسايره في تطوره، متأثراً به، من هذا المنطلق فالأدب يتطور تبعاً لتطور الاقتصاد.

أساساً على هذا يذهب شوقي ضيف إلى أنّ للمؤثرات الاقتصادية أثراً كبيراً في حياة الإنسان، وفي كلّ ما ينتج من أعمال وآثار. وإذ أخذنا ننظر في حياة الشعراء في العصر الأموي وجدنا للاقتصاد أثره العميق في اتجاهاتهم، وهل نستطيع تفسير شيوع الغزل المادي الصريح في مدن الحجاز وانتشار الغزل العذري العفيف في نجد و بيئات البوادي إلّا بردّ ذلك إلى نعومة

العيش وما كان ينعم به سكان تلك المدن من ثراء عريض ثمّ ما كان فيه سكان نجد والبوادي من شظف العيش وخشونته. وبالمثل نحن لا نستطيع تفسير شيوع المديح في العراق وخراسان وما كان يهبط منه إلى دمشق إلّا بردّ ذلك إلى طبقة ضخمة من الأثرياء.[٢١] أيضاً يذهب حنا الفاخوري إلى مثل ما ذهب إليه شوقي ضيف في العصر الأموي و يرى أنّ الاقتصاد أثّر في الأدب هذا العصر ولهذا راح الشعراء ينظمون الشعر في خدمة الغناء، ويضمّنونه معاني الحب والغرام، ويوقّعونه على أخفّ وزن وأسلس عبارة، ومن هنا ارتفع صوت المال في القصيدة الأموية واحتلّ جوانب غير قليلة منها، فقد كان أساسياً في حياة الناس، فطبيعي أن يكون أساسياً في فنهم وشعرهم.[٢٢] فهم يرون أنّ «تقدم الحضارة ورخاء العيش ونماء الثروة تؤثر في الذوق، وتزيد في الصور، وتساعد على نشر العلوم وتنوّع في معاني الشعر وأساليب الكتابة والفنون الأدبية.»[٢٣] فكلّ هذا يدلّ على أنّ هؤلاء يعتقدون أنّ من أهم العوامل التي تؤثر في تطور الأدب، فتعوق تقدمها حيناً، وتزيد سرعته حيناً آخر هي الحياة الاقتصادية.

٣-٢-٤الحياة الثقافية

تتمثّل الحياة الثقافية عندهم في«ذكر العلوم المتوفرة والفرق الكلامية الموجودة في كلّ عصر من عصور تاريخ الأدب العربي وفي ذكر التمازج الثقافي وما كان من أثر الثقافات المختلفة في الأدب العربي، وكيف تركت طوابعها في مفرداته وتراكيبه وفي موضوعاته وأساليبه، وماذا جددت أو نسخت من معانيه وفنونه وكتبه وعلومه وما كان من أثرها في التقاليد الأدبية بوجه عام»[٢٤]فضلاً[٢٥] عنها يعالجون الثقافات المختلفة التي غمرت العالم العربي على تتابع العصور، وفقاً لذلك يرى الفاخوري أنّ تمازج الثقافة العربية والثقافة الفارسية حوّل الكتابة العربية إلى نمط آخر لم يكن يعرفه العرب، وهو نوع الكتابة التي اشتهر بها عبدالحميد الكاتب ومدرسته.[٢٥] فهؤلاء عندما يعالجون أدب بعض الأدباء يعنون بالتمازج الثقافي ويفسّرون أدبهم في ظلّ هذا التمازج، ولكن الأدب ليس وليد هذا التمازج فحسب، بل وليد التجربة الإنسانية، والحياة الشخصية والاجتماعية، والواقع المادي و...

وصل البحث أخيراً إلى أن مقدماتهم التاريخية كاشفة عن رؤيتهم للفرق بين العصور المختلفة، لأنّ تقديمها لم يكن واحداً عندهم فقد أطال زيدان وضيف حديثهما في مقدماتهما التاريخيّة. أمّا زيدان ففي بعض العصور «يعرض لهذه العوامل ضمن حديثه عن العصر من ذلك مثلاً أنّ القارئ لا يكاد يشعر بأنّ زيدان تحدث عن العوامل التي أثّرت في الأدب الجاهلي والإسلامي والأموي. فضلاً عن هذا فهو في بعض العصور يهمل بعض هذه العوامل كما أنّه

أهمل عاملاً أساسياً من تلك العوامل التي أثّرت في الأدب الأموي وأعطته معظم خصائصه وهو العامل الاقتصادي»[٢٦]

أمّا شوقي ضيف فيتجلى هذا التقديم عنده فيما كان ضيف يسبق به عرضه لتاريخ الأدب في كلّ عصر من تناول لجوانب الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية، إلّا أنّ شوقي ضيف يتناول الحياة الاقتصادية في كل عصور تاريخ الأدب العربي ضمن حديثه عن الحياة الاجتماعية. وهذه العوامل ثابتة في مؤلفاته فيما عدا العصر الجاهلي والعصر الإسلامي اللذين يتناول فيهما ضيف معظم هذه العوامل بطريقة مختلفة ضمن حديثه عن هذين العصرين. وفي عصر الدول والإمارات هناك تقسيم ثنائي يتكرّر ويقوم على وصف السياسة والمجتمع وأوضاعه الاقتصادية، ثمّ تناول الثقافة وهذا ما يتكرّر في الأجزاء الخاصة لعصر الدول والإمارات، أمّا في العصرين العباسيين فهناك تقسيم ثلاثي تتابع فيه الحياة السياسية، ثمّ الحياة الاجتماعية وأوضاعها الاقتصادية وبعد ذلك الحياة الثقافية.[٢٧] أمّا عمر فروخ وحنا الفاخوري فيقتصران حديثهما في مقدماتهما التاريخيّة والحقّ أنَّ الأقسام التي مهّد بها كلّ من هذين المؤرخين لعصور الأدب، لا تكاد تذكر من حيث الحجم أمام التي عرّفا فيها بالشعراء والكتّاب إذن فالتراجم تسيطر على عملي فروخ والفاخوري في تاريخ الأدب. أمّا في تقديم هذه المقدمات فيذهبان إلى مثل ما ذهب إليه زيدان وضيف إذ يعرضان للبعض هذه العوامل في بعض العصور ضمن حديثهما عن العصر ويهملان بعض هذه العوامل عند تناول بعض العصور. أمّا العامل الذي لم يهمل في أي عصر من العصور وفي أية كتب من هذه الكتب الأربعة فهو العامل السياسي.

ملخص القول أنّ هذا التقديم جاء إخبارياً عند زيدان وفروخ، هما يعتمدان على الرواية أكثر مما يعتمدان على التحليل وفقاً لذلك لم يعالجا ما جاء في كتابيهما بإسهاب. أمّا عند ضيف والفاخوري فيغلب عليه نمط من الممارسة النقدية ويقوم على التحليل والتعليل وعلى ربط الأسباب بالنتائج لإدراك حقيقة الأدب. و أنّهم يرون أنّ الأديب هو ثمرة من ثمار البيئة السياسية، والبيئة الاجتماعية، والبيئة الاقتصادية والبيئة الثقافية التي طبع الأدب في كلّ عصر بطابعها. ولا ننكر ما لهذه الأصول من أثر في الحياة الأدبية إلّا أنّ الاعتماد عليها والوقوف عندها دون الوصول إلى الهدف يجعل الدراسة غير منهجية إذن فيجب على المؤرخ أن يعتمد على هذه الأصول ليصل بها إلى الهدف، لأنّ القضية الأدبية ظاهرة مستقلة وهذه الأصول والعوامل تكون تمهيداً لظهورها وطريقاً للكشف عنها.

٤-ميزة العصر

تعدّ دراسة أدب كل عصر قسماً فاصلاً بين المقدمات التاريخيّة وبين التراجم و قسماً أساسياً في دراستهم لأنّه يتضمَّنُ حركةَ سير الآداب. يتكوّن تاريخهم من قسمين، تناولوا في الأول مختلف الأسباب التي أدّت إلى تلك النهضة الأدبية التي عرفها كلّ عصر من العصور. أمّا الثاني فعرضوا فيه لأبرز الخصائص التي يمتاز بها الشعر والنثر في عصر من العصور وإلى أظهر ما جدّ فيهما قياساً على العصور الأخرى.[٢٨] إنّهم يعتمدون في تقسيمهم على «تعداد الخصائص التي يتميّز بها الشعر والنثر في هذا العصر عن العصر الذي سبقه وهذه الخصائص تتمثّل في ما جدّ في الشعر والنثر وفي ما دخل على القديم من تحول، ومعنى ذلك أنّهم في التأريخ للشعر والنثر يقومون بتسجيل ما يظهر فيهما من جديد وما دخل على القديم من تحول، إلّا أنهم يهتمّون بتناول ما ظهر في الشعر والنثر من جديد أكثر من اهتمامهم بتناول ما دخل على القديم من تحول أو ما تواصل منه ولم يطرأ عليه جديد أو تحول.»[٢٩] وهذا يرجع إلى أنّهم يعتقدون بصلة بين الأدب والمجتمع وكل ما فيه من أحداث، وأحوال، وسياسة، واقتصاد وثقافة. وعلى هذا الأساس هم يرون أنّ ميزات الشعر والنثر في كلّ عصر من عصور تاريخ الأدب العربي تتغيّر بتغيير المجتمع.

وفقاً لذلك يذهبون إلى أنّ الحياة الاجتماعية في العصر العباسي اختلفت عما كانت عليه في العصر الأموي والجاهلي. بالتالي فاختلف الشعر والنثر في عبارتهما ومعانيهما، واختلفا بأن سيطرت عليهما معان لم تكن هي المسيطرة من قبل. وقد عبّر زيدان عن ذلك تعبيراً واضحاً في قوله: «الإنسان صنيعة الإقليم، تتغيّر أطواره وأحواله بتغيير البيئة المحيطة به، ويظهر أثر ذلك في نتاج قريحته وفكره»[٣٠] وعلى هذا الأساس من الفهم لصلة الأدب بالمجتمع وما فيه هم يعطون للشعر والنثر في كلّ عصر من عصور تاريخ الأدب العربي ميزات متمايزة عن العصور الأخرى. و يشترط في هذه الميزات أن تكون مشتركة فيها آداب العصر الواحد حتى تعدّ ميزة عصر واحد. على هذا الأساس لقد حاول كل من جرجي زيدان، وعمر فروخ، وشوقي ضيف وحنا الفاخوري أن يجد لعصور تاريخ الأدب العربي ميزاتها التي تميّز بعضها عن بعض.

فهذا جرجي زيدان حاول أن يجعل لكلّ عصر أدبي ميزة يختص بها. فرأى أنّ العصر الأموي إنّما يختص بنضج الآداب الجاهلية.[٣١] ، وأنّ العصر العباسي يتميّز ببداية النقل عن العلوم الأجنبية وبنضج الآداب والعلوم الشرعية. وتميّز الشعر بالحضارة في هذا العصر وتبدّلت طريقته وتلطّف أسلوبه[٣٢]، وأنّ العصر العثماني يختص بكثرة ما ظهر فيها من

موسوعات.[٣٣] إذن فهو يلتمس لكل عصر أدبي، خصائص أدبية خاصة متمايزة عن العصور الأخرى.

عمر فروخ أيضاً حاول أن يجد لعصور تاريخ الأدب العربي خصائصها التي تميّز بعضها عن بعض. فيذهب إلى أنّ العصر الجاهلي، عصر الإنتاج الوجداني المطبوع.[٣٤] والعصر الأموي عصر تقليد عن الشعر الجاهلي في أسلوبه وفي كثير من أغراضه.[٣٥] والعصر العباسي، عصر الأدب المولد والمحدث الذي لم يكن عربياً خالصاً في معانيه وفي أسلوبه.[٣٦] وعصر المماليك عصر الموسوعات والاتجاه الديني من الزهد والتصوف والبديعيات.[٣٧] والعصر الأندلسي عصر اهتمام المغاربة بأدب المشارقة. بالتالي هو أيضاً كجرجي زيدان لتمييز العصور الأدبية بعضها عن البعض يجعل لكلّ عصر ميزة ينفرد بها أدب عصر فلا يشاركه فيها أدب سائر العصور.ضيف والفاخوري أيضاً يذهبان إلى مثل هذا الذي ذهب إليه زيدان وفروخ في جعل الخصاص الأدبية الواحدة للعصر الواحد متمايزة عن العصور الأخرى. على هذا الأساس يكفي أن يكون الأديب عباسياً حتى يحمل إليه كل الميزات التي امتاز بها العصر العباسي و يكفي أن يكون جاهلياً حتى يقال فيه كل الذي يقال عن الأدب الجاهلي.

ملخص القول أنّهم يحاولون أن يجعلوا لعصر كامل طائفة من الميزات التي تهمل الجوانب الفردية. على هذا الأساس فالاعتماد على الميزات الأدبية التي تميّز عصر عن عصر آخر ليس بصحيح لأنّه ينتهي إلى طائفة من الميزات العامة، والميزات العامة لا تخلص من الخطاء، ولا تتسم بالدقة وتجعل فكرة ثابتة في ذهن القارئ.

٥-التراجم

٥-١التعريف بالأديب ترجمةً و سيرةً

ويرى المتأمل في هذه الكتب أنّ تراجم الأدباء قد شغلت معظم ما أرخوا به للأدب العربي من صفحات. ويبدو أنّهم فيها قد أصبحوا موضوعاً بارزاً من مواضيع التاريخ للأدب بحكم صلتهم بالنصوص الأدبية التي ينتجونها. وحاولوا تسليط الضوء على طريقة في تصنيف الأدباء والتعريف بهم، وتتمثّل هذه الطريقة عندهم في الاهتمام بنشأة الأديب وأطوار حياته، وبشخصيته، ثمّ بأدبه وميزته. حيث إنّ اهتمامهم بحياة الأدباء فَاقَ أحياناً اهتمامَهم بالنصوص الأدبية نفسِها حتّى كادت آثار البعض منهم تتحوّل إلى مؤلفات في حياة الأدباء. أمّا التاريخ لحياة الأديب فيقوم على ذكر اسمه ونسبه، وتاريخ ولادته ووفاته، ومحل ولادته وأسفاره، وعلى تقديم صلته بالسياسة وما وقع له من أحداث، ذكر دينه، وهيئته، وجنسه، وفقره أو غنائه.

أول ما يجلب انتباه القارئ في ترجمة الأديب عندهم بعد ذكر اسمهم ونسبهم، هو ذكر التأريخ لولادة الأديب ووفاته، لأنّه قد رتّب زيدان، وفروخ، والفاخوري أدباء الأدب العربي في كل عصر من عصوره وفي كلّ فن من فنونه على سنة الوفاترتّب زيدان، وفروخ، والفاخوري الأدباء على سنة الوفاة.«فكان الأديب الذي تسبق وفاته وفيات معاصريه هو الذي يسبق التعريف به»[٣٨] فترتيب الأعلام حسب سنة وفاتهم لم يكن ليخلو من قضايا شائكة، ولعلّ أهمها أنّها لايصلح الاعتماد على سنة الوفيات في العصور القديمة لما فى تواريخ وفيات الأدباء من غموض، و هذا راجع إلى عدم تسجيل العرب الوفيات، و إلى ضيوع الآثار الكثيرة، و إلى الخلط الذي يتناول أسماء الأدباء. بالتالي فإنّه لا يمكن الاعتماد على سنة الوفيات في ترتيب الأعلام لأنّ وفيات الأعلام محل اختلاف بين المؤرخين. ولعلّ أحسن مثال لذلك ما جاء في كتاب زيدان وفروخ، فكلّ منهما ترجما للشاعر عفيف الدين التلمساني (توفي سنة ٦٩٠هـ) ولولده المعروف بالشاب الظريف (توفي سنة ٦٨٨هـ) وقدّما ترجمة الولد على ترجمة الوالد لأنّه توفّي قبل أبيه بسنتين.

إذن المتأمل في منهجهم هذا يلاحظ أنّ «العصر الأدبي ليس أكثر من خط زمني توضع فوقه تواريخ عدة تبدأ بابتدائه وتقف عند انتهائه. وفقاً لذلك فللشعر خطه الزمني الذي يبدأ بابتداء العصر وينتهي مع انتهائه، وللنثر خطه، ثمّ إنّ لتواريخ الأعلام خطوطها الزمنية الممتدة بين الولادة والوفاة. وهذه الخطوط العديدة تتلاقي ليتكوّن منها تاريخ الأدب.»[٣٩] وهذا يرجع إلى المنهج الذي قد أخذوا به إذن فهم عندما يعيّنون تاريخ الولادة الأديب أو وفاته، يريدون أن ينتموا الأديب إلى العصر الذي يشتمل على تاريخ ولادته أو وفاته. وعلى هذا الأساس يذهب فروخ إلى أنّ «من وقعت سنة وفاته موغلة في العصر الأموي فهو أموي بلا ريب»[٤٠] لكن هذه الطريقة في الترتيب لا تكاد تفيد شيئاً في تاريخ الأدب من خلال التعريف بالأدباء، لأنّه وفقاً لهذه الطريقة يبقى منطق التحول والتواصل والانقطاع مجهولاً، لأنّ هذا الترتيب لا يهتمّ بتطور الأدب.

أمّا شوقي ضيف فيتبع الشخصية الأدبية من المولد إلى الوفاة، ولكن لم يكن يمثّل نقطة البداية في كثير من الحالات، فكثيراً ما كان يتناول حياة الوالدين من حيث النشأة والانتماء أو الولاء القبلي أو الحرفة طالما أنّه يرى أنّ أياً من جوانبها كان له تأثيره على الشخصية، وبين نقطتي البداية والنهاية يتابع وصف مراحل حياة الشخصية المترجم لها، فيتناول جوانب النشأة والتعلّم والحرفة والعلاقات الاجتماعية والأسرية، معتمداً على المرويات التي تقدمها المصادر العربية. لكنّه لا يصنّف الأدباء على أساس سنة وفاتهم لعلّه كان يدرك ما في هذه الترتيب من قضايا فلهذا يقسّم الأدب في العصور المختلفة التي أرخ لها إلى الشعر والنثر، ثمّ يصنّف الأدباء

داخل كلّ قسم منها، وهناك عدة ملاحظات تتصل بتصنيفات شوقي ضيف للأدباء، يمكن اكتفاء بتناول ما يتعلق بتصنيفاته للشعراء خاصة لاكتشاف المقاييس التي كان ضيف يستخدمها في تلك التصنيفات. ومن اللافت أنّ متابعة تصنيفات ضيف في كافة أجزاء سلسلة تاريخ الأدب العربي تكشف عن أنّه لم يكن يوضح تلك المقاييس، وإن كان يصرح في مواضع المفاضلة بين الأديبين بما يمكن أن يعضد المقاييس التي يمكننا استخلاصها، أمّا مع كلّ هذا فيمكن حصر المقاييس التي كان ضيف يستخدمها فيما يلي:

١- يبدو أنّ المقياس الأول الذي استخدمه ضيف للتمييز بين الشعراء لتصنيفهم في إطار تاريخه للعصر الذي ينتمون إليه، هو مقياس إجادة الشاعر في عدد من الأغراض الشعرية التي أعلى نقاد العرب من شأنها كالمديح والهجاء.

٢- أمّا المقياس الثاني فهو المقياس الكم، فكلّما كانت أشعار الشاعر الجيدة ذات كم كبير كان ذلك داعيا من الدواعي إلى تقديمه على غيره من الشعراء المعاصرين له.

٣- أمّا المقياس الثالث فهو ابتكار الشاعر أو قدرته على أن ينشئ غرضاً شعرياً جديداً أو يتطور غرضاً شعريا قائماً. (٤١)

محل ولادة الأدباء كان موضع اهتمامهم لأنهم يريدون أن يعينوا أنّ محل ولادة الأدباء نفس العاصمة أم لا. وإن لم تكن العاصمة محل ولادتهم يتحدثون عن أسفارهم التي كثيراً ما أدّت إلى اتصالهم بالعاصمة والأمراء والخلفاء فيها. وإنّهم عند ذكر محل ولادة الأديب يلمحون إلى العوامل السياسية ويبرزون محل ولادته للإيماء إلى اتصاله بالعاصمة وسياسة السلطة الحاكمة، ثمّ بعد ذلك يعبّرون عن أثر ذلك الاتصال في أدبه. على هذا الأساس يوجّهون أكثر اهتمامهم إلى الأدباء الذين يجتمعون حول الملوك والوزراء، مهملين الأدباء الذين لم يكن لهم حضور سياسي أو اجتماعي، أو لم يرتبطوا بالسلاطين والحكام.

في رأيهم أن الفقر والغنى يؤثّران على أدب الأديب وعلى فنونه الشعرية وعلى لغته وأسلوبه.أمّا منهجهم في دراسة الفقر و الغنى فيختلف من مؤرخ إلى آخر فزيدان وفروخ يعتمدان على حكاية أكثر مما يعتمدان على التحليل ويقتصران على ذكر كلمة الفقر والغنى. في حين أنّ ضيف والفاخوري يعتمدان على التحليل وعلى كيفية انعكاس الفقر والغنى في أدبهم وعلى ربط الأسباب بالنتائج للوصول إلى حقيقة الأدب.

صورة بعض الأدباء الجسدية كانت مما تتطرقوا إليها. فقد اعتمدوا في تشكيل ملامح الصورة الجسدية على الوصف الخارجي للبنية الجسدية، وكل ما يتصل بهذه البنية من علامات مميّزة. هذا الوصف يختلف باختلاف الفنون التي يعالجونها. على سبيل المثال عندما يعبّرون عن

الشعراء الذين هيمن فن الهجاء على فنونهم يصفونهم بأبشع وجه ممكن مثلاً يصف زيدان بشار قائلاً: ولد بشار أعمى جاحظ الحدقتين يغشاها لحم أحمر وكان ضخماً طويلاً، عظيم الخلق والوجه مجدراً.(٤٢) ويصفه الفاخوري قائلاً: كان بشار ضخماً عظيم الخلق، مفرط الطول، عظيم الوجه، أعمى جاحظ العينين، قبيح المنظر، وكان في وجهه المجدور وسماجة تكوينه ما يبعث على النفور والاشمئزاز.(٤٣) ويصف ضيف الحطيئة قائلاً: لقّب بالحطيئة لقصره أو لدمامته وزاد في اضطرابه وقلقه ضعف جسمه وقبح وجهه، إذ كانت تقتحمه العيون، ومن ثمّ نشأ بغير قليل من المرارة، ولعلّ هذا هو السبب في غلبة الهجاء عليه.(٤٤)

أمّا شعراء الغزل والزهد فيصفونهم بأجمل وجه ممكن. كما وصف زيدان العرجي بأنّه كان أشقر، أزرق العينين، جميل الوجه ويوصف أبا دهبل الجمحي بأنّه كان رجلاً جميلاً له جمة شعر يرسلها فتضرب منكبيه.(٤٥) ويصف ضيف عمر بن أبي ربيعة قائلاً: إنّه كان جميلاً، كأنّما انعكست فيه صورة الحب.(٤٦) ويتحدث زيدان عن أبي العتاهية شاهر الزهد في حديثه: كان أبوالعتاهية أبيض اللون، أسود الشعر، نظيف اللباس، له وفرة جعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة.(٤٧) على هذا الأساس هم يرون أنّ هيئة الأديب يترك بصماته على أدبه ومعرفتها تفيد في فهم رموز عمله الأدبي وتفسيرها.

الموضوع الذي لا يتواري عن النظر هو ذكر صلة الأدباء بسياسة السلطة الحاكمة، ومنادمتهم للخلفاء والوزراء، مع ذكر رغبة الخلفاء والوزراء في الأدب والأدباء، وتشجيعهم واكرامهم وإغداقهم العطايا الجزيلة للأدباء، مهملين الأدباء الذين لم يرتبطوا بالسلاطين والحكام. وفقاً لذلك فهم يذهبون إلى أنّ الأدب يثمر في ظلّ محبيه من الملوك أو الأمراء فهم يشجعون الأدباء بالصلات ويروّجون ما أنشد لهم. وعلى هذا الأساس من الفهم لصلة الأدب بالسياسة فهم عند معالجتهم لحياة الأدباء يسلطون الضوء على اتصالهم بممدوحيهم وعلى إظهار الروابط بينهم وبين الأمراء والخلفاء.

سبق أن أسلفنا أنّ المنهج الزمني نشأ من نظرية تين التي تعتمد على الجنس، والبيئة والعصر فمن الطبيعي أن يهتمّ كلٌّ من هؤلاء المؤرخين بجنس الأديب و عرقه و أن يزعموا أنّ للعرق دوره في توريث بعض الخصائص ومنه يستنتج اختلاف صور الأدب واختلاف خصائصه عند شعراء كلّ أمة على حدة. إذن فهم يعالجون شعر بعض الشعراء بالرجوع إلى نسبهم، كأنّهم وجدوا العرق آلة لفهم أسرار فن هؤلاء الشعراء ونفسيتهم. فقد ظهر الذوق الفارسي في بشّار، و أبي نواس، و قد ظهر الذوق الرومي في ابن الرومي. على سبيل المثال يذهبون إلى أنّ نفسية بشّار لم تكن بسيطة ولا ساذجة، بل كانت معقدة، فقد كان فارسي الأصل، ورث عن الفرس حدة

في المزاج.[٤٨] ويعبّرون عن أبي نواس بأنّه كان فارسياً حادّ المزاج تثقف الثقافة الفارسية وفي خمرياته ما يدلّ دلالة واضحة على أنّه وقف وقوفاً دقيقاً على طقوس المجوس.[٤٩] ويتحدّثون عن علي بن جبلة أنّه دفعه مزاجه الفارسي الحاد إلى الإكثار من المبالغة في نعت ممدوحيه، حتّى ليفرط في ذلك افراطاً شديداً.[٥٠]

الأدب في رأيهم لاينفصل عن العقيدة الدينية لهذا لايغمضون عيونهم على دين الأدباء بل يرون أنّ لمؤرخ الآداب دراسةَ مسألة مذاهب الأدباء العقائدية وعلاقتها بالنصوص الأدبية التي انتجوها.ويؤكدون على أنّ الأديان تؤثر في أسلوب الأديب، وفي ألفاظه، وفي أفكاره ومعانيه وتخلق موضوعات جديدة كما أنّ الدين الإسلامي قد أوجد الأدب الصوفي والزهد. ولهذا يشيرون إلى العديد من الشواهد الشعرية الدالة على المعرفة بأصول الأديان.

و أخيراً ذكر شخصية الأديب الفردية جاء إخبارياً عند زيدان وفروخ ويعتمد على السرد والحكاية لكن تقديم هذا العامل جاء تحليلياً عند ضيف والفاخوري يقوم على التحليل لتفسير الأدب وادراك حقيقته.

٥-٢التعريف بشخصية الأديب العلمية و الأدبية

الشخصية العلمية في رأيهم ليست ببعيدة عن نشوء الظاهرة الأدبية بل هي تعدّ من أقوى العوامل أثراً في تكوّن الأدب ومن أشدّها تأثيراً في المقاييس التي يقدّر بها. وقد فطن هؤلاء المؤرخون إلى«هذا الدور الذي كانت تضطلع به الشخصية العلمية في نشأة الآداب أو رقيها أو تقهقرها، فأفردوا في تراجم الأعلام الذين عرّفوا بهم مكاناً تحدّثوا به عن مشايخ الذين أخذوا عنهم، وعن أنواع المعارف التي لقّنوها، وحاولوا بذلك أن يصلوا بين ثقافات الأدباء وبين انتاجهم.»[٥١] إذن فهم يرون أنّ مؤرخ الآداب بحاجة إلى معرفة شخصية الأديب العلمية، وهو يؤرخ للأدب، لأنّ العلم له أثره في تنمية الشعور، وخلق أنواع طريفة من الأدب.

أمّا تعريف بشخصية الأديب العلمية و الأدبية فجاء بشكل موجز عند زيدان وفروخ فلا يكاد يتجاوز إبراز الجودة فيه وإظهار كيفية اللفظ والمعنى و لايدرسان أدبه من حيث أسلوبه وصوره الفنية أوصنائعه اللفظية والمعنوية وأوزانه. ويعتمدان على الأخبار لإبراز قيمة أدب الأديب. يعبّر عمر فروخ عن هذا في قوله:« لقد كان حرصي هنا أن ألزم رأي النقاد القدماء، لأنّهم أقرب إلى الزمن الأدباء عادة ولأنّهم – وهذا هو الأمر المفروض – يجب أن يكونوا قد عرفوا من آثار هؤلاء أكثر مما نعرف نحن اليوم، قبل أن يضيع جانب كبير من تلك الآثار»[٥٢] إذن فهما يعتمدان على آراء النقاد في ابراز ميزة أدب الأديب وقليلاً ما يبرزان رأيهما. هذا يدلّ على أنّ منهجهما منهج جمعي وحكائي.

لكنّ ضيف والفاخوري يهتمان بذكر ميزة أدب الأديب، ويغلب على تقديمهما نمط من النقد، إذن فهما يقدمان أدب الأديب في إطار تفسيري تحليلي ويكشفان عن أسلوب الأديب، وصوره الفنية، وخصائص ألفاظه ومعانيه. لكنهما ينظران نظرة جزئية إلى أدب الأديب ويدرسان أدبه في إحدى قصائده، أو في بيت واحد. إذن فهم يفسّرون أدب الأديب على أساس الأحكام الانطباعية ولا يحلّلونه «تحليلاً أسلوبياً يقوم على استخدام معطيات علم الأسلوب لدراسة خصائصه الجمالية».[٥٣]

أمّا ذكر الشخصية الأدبية عندهم فيكتمل بتقديم ذكر الأغراض أو الفنون، وذكر الآثار الأدباء، وذكر المختارات الشعرية والنثرية وذكر المصادر والمراجع المتعلقة بالأدباء.

مثلت دراسة الأغراض أو الفنون جانباً من جوانب الدالة على الكيفية التي أرخ بها هؤلاء لأدب الأديب؛ إذ إنّ عدداً من الآليات النقدية التي كان يستند إليها هؤلاء في تاريخهم لأدب الأديب قد تجلت في تاريخهم لفنون أو أغراض الأديب في إطار عصور الأدب العربي. ويسعون إلى تحديد الإطار العام لحركة الأغراض أو الفنون عند كلّ أديب، من وجه آخر يكشفون عن جوانب التغيير ومناحي التحول التي اعترت هذا الفن أو ذلك الغرض عند هذا الشاعر أو ذلك.[٥٤] إذن فهم يقفون على الأغراض والأنواع الأدبية عند تناول أدب الأديب لأنّ «هذا العامل يمكن أن يكون ظاهر الفائدة في مادة تاريخ الأدب. فهو بنسبة العصر الواحد، يجلي منازل الأنواع والأغراض بعضها من بعض في نظر الأديب الذي أفرزها أو تعايش معها، فيمكّن مؤرخ الآداب من التعرّف إلى أيّها أرقى من غيره في عرف الأدباء، وأيّها أقدر، عندهم، على القيام بالوظيفة الأدبية التي يرجونها منه. وهو بالنسبة إلى العصور الكثيرة، يظهر التحول الذي يقع لمكانات الأنواع والأغراض بعضها من بعض في نظر الأدباء ويكشف بذلك عن التغيير الذي يطرأ على كلّ منها في القيمة والكثرة، وفي التواصل والانقطاع.»[٥٥]

بالتالي فهم يهتمّون بهذا العامل اهتماماً كثيراً عند معالجةأدب الأديب للكشف عن مدى تفوق الأديب المترجم له في إبداع هذا الغرض أو ذلك في كلّ عصور تاريخ الأدب العربي.

فقد أرخوا في عملهم للمؤلفات الأدبية في ذيل أدب الأديب، إلّا أنّ اهتمامهم بهذه الآثار يختلف باختلاف الآثار الأدبية فهم يتحدثون عن بعض الآثار موجزاً، وبعضها الآخر مبسوطاً. على هذا الأساس فهم يكتفون أحياناً بالإشارة إلى ما بقي من الأعمال الأدباء دون أي شرح أو تعليق. أمّا ذكر الآثار الأدبية على هذا الأساس فلا يفيد شيئاً عن موضوعاتها أو عن قيمتها فضلاً عن منزلتها في تاريخ الأدب.

لكنّه عندما يصل كلّ من هؤلاء إلى المشهور من مؤلفات الأدباء نحو «الأغاني» لأبي الفرج الإصبهاني، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه و«الشعر و الشعراء» لابن قتيبة، و«الحيوان» لجاحظ وغيرهم يطيلون الكلام وهذا التفاوت يدلّ على أنّهم لم يعطوا لآثار الأدباء حظاً واحداً من العناية.

ومما لا يتواري عن النظر في ذكر آثار الأدباء هو ذكر الآثار التي قدّمها الأدباء للسلطة الحاكمة. إذن فهم عندما يتحدثون عن الآثار، يسلطون الضوء على الآثار التي ألفت بأمر الأمراء أو الخلفاء أو قدّمت لهؤلاء، ويكشفون عن اسم هذه الآثار وعن اسم الأمراء والخلفاء الذين قدّمت إليهم هذه الآثار. بالتالي هم عندما يطرقون إلى آثار الأدباء لا يغمضون عيونهم على المنهج الزمني بل يعالجون هذه الآثار أيضاً في ظلّ هذا المنهج.

وأخيراً فهم يشيرون إلى جميع الشروح والتعليقات والطبعات التي ألفت لهذه الآثار ويوردون جميعها، بقطع النظر عن قيمة تلك الطبعات والشروح والتعليقات ودون أن يبرزوا الفوارق المتوفرة بين هذه الطبعات والشروح والتعليقات. لكن مؤرخ الآداب عليه أن يقوم «بالمقارنة بين ما يظهر للأثر الواحد من طبعات أو نسخ أو شروح أو تعليقات في عصره أو في غير عصره من العصور حتّى يرى ما إذا كان قد داخلها تحريف أو تصحيف أو تحوير ويتبين الدواعي ذلك وأسبابه، فبعض النصوص القديمة تظهر في طبعات على صورة، وتظهر في طبعات أخرى على صورة ثانية، فقد يكون بين الصورتين من البعد والاختلاف. وبعض النصوص الحديثة أيضاً تظهر في أول الأمر على صيغة وتظهر بعد ذلك على صيغ أخرى، وقد يكون الاختلاف بين الصيغ من صنع مؤلفيها أنفسهم، وقد يكون أيضاً من عمل المحققين والناشرين.»[٥٦] من هذا المنطلق المقارنة بين ما يظهر للأثر الواحد من طبعات أو نسخ أو شروح أو تعليقات تدلّ على بعض التحولات التي يمرّ بها النص الأدبي حتّى يبرز في الصيغة النهائية.

كلّ من هذه الكتب الأربعة تعالج المختارات الشعرية والنثرية وكثيراً ما تقدّم على هذه المختارات المناسبات التي أثّرت في صياغتها، وبالرجوع إلى هذه المناسبات تستجلي القصيدة بكل وضوح. لكن هذه المختارات تختلف في كتاب كلّ من هؤلاء المؤرخين الأربعة. إنّها موجزة في كتاب زيدان والفاخوري. أمّا عند فروخ وضيف تمثّل جزءاً وسيعاً في تراجم الأدباء.

أمّا المقاييس التي عمل بها هؤلاء المؤرخون الأربعة في اختيارها هي دون سواها فهو «مقياس الجودة، فهذه الشواهد تقدّم على أنّها أحسن ما وضع الأديب وأجود ما أتى به، فهي في نظر الذين اختاروها تفوق سائر ما ألف الأديب، لذلك كانوا يشفعونها أحياناً بقولهم من جيد شعره أو

من بديع شعره أو... والمقياس الثاني، فهو مقياس تمثيل، هذا يعني أنّهم اختاروا تلك الشواهد دون سواها، لأنّها في نظرهم تمثّل شعر الشاعر وتدلّ أحسن من غيرها على ما اشتهر به ونبغ فيه»[٥٧] وقد اعتمد على هذا المقياس زيدان وضيف أكثر من فروخ والفاخوري لأنّهما في ظلّ المنهج الزمني يعالجان الأدباء على أساس منهج الفنون الأدبية.

أمّا المقياس الثالث فهو العناية بالمختارات التي تمثّل المنهج الزمني لأنهم يأتون بنماذج من مديح الأدباء ورثائهم وهجاءهم أكثر من الفنون الأخرى لأنّ هذه الفنون تتصل بالسياسة أكثر من غيرها. إذن هذا المقياس الذي لم يصرح به ولم يلمح إليه هؤلاء المؤرخون الأربعة يبدو مؤثراً في اختياراتهم أعظم تأثير، هو الذي يكشف لنا عن المنهج الذي قد أخذوا به.

٥-٣التعريف بالجانب الببليوغرافي

و أخيراً يعتني زيدان وفروخ بذكر المصادر والمراجع المتعلقة بصاحب الترجمة، لكن شوقي ضيف يكتفي بذكر هذه المصادر والمراجع جملة في هوامش سلسلة كتبه عند معالجة حياة الأديب، أمّا حنا الفاخوري فيشير إلى أهم هذه المصادر والمآخذ في آخر كل ترجمة.

ولا يكتفي كل من زيدان، وفروخ وضيف بالمصادر العربية بل يضيفون إليها المصادر الأجنبية. على سبيل المثال زيدان في ترجمته للشاعر الجاهلي تأبط شرّا يذكر مآخذ الترجمة لحياته على هذا النحو قائلاً: «وأخباره في الأغاني ٢٠٩ج ١٨، والشعر و الشعراء ١٧٤، وخزانة الأدب ٦٦ج ١ ووكتب عنه بور BUAR بالألمانية مقالة في سيرة حياته وشعره، في مجلة الشرقية الألمانية سنة ١٨٥٦»[٥٨]. ولا تقتصر المصادر والمآخذ التي يسجّلها هؤلاء في تراجم الأعلام الأدبية على القديمة، بل يأتون بأحدث كتب في وقتهم. على سبيل المثال زيدان في ترجمته للشاعر الجاهلي المتلمس يضيف إلى المصادر القديمة مصدراً معاصراً له وهو كتاب «شعراء النصرانية» للأب لويس شيخو اليسوعي المتوفّى سنة «١٩٢٧» ويذهب فروخ وضيف أيضاً إلى مثل ما ذهب إليه زيدان في ذكر المصادر والمآخذ الحديثة.

وحين يذكرون المصادر والمآخذ المتعلقة بصاحب الترجمة يشيرون إلى المكتبات التي تحتفظ بمخطوطتها إن كانت مخطوطة، وإلى مكان طبعها وتاريخ الطبع إن كانت مطبوعة.

٦-النتيجة

هذا البحث حاول أن يبين المؤشرات المشتركة بين هذه الكتب الأربعة ووصل إلى المعطيات التالية:

١-إنّ كلّاً من هذه المؤلفات الأربعة التي ألفت على أساس المنهج الزمني واعتمد عليها البحث يسير في تاريخ الأدب وتقسيمه على ما سار عليه أول الكتاب الذي ألف على أساس المنهج

الزمني، فما جاء بعد كتاب زيدان من كتب في تاريخ الأدب العربي لا يخرج عما ورد في كتاب زيدان من مؤشرات، لهذا هناك تشابه كبير في هذه الكتب الأربعة.

٢-إنّ كلّاً من هذه الكتب الأربعة تعتمد على المؤشرات المشتركة التي يمكن حصرها في: ١- التقسيم السياسي، ٢- المقدمات التاريخيّة التي يعالجون فيها العوامل التي أثرت في الحياة الأدبية وقد جاءت هذه العوامل عندهم أربعة هي: السياسة، والمجتمع، والاقتصاد والثقافة ، ٣- ميزة العصر ٤- التراجم التي اتبعوا في تصنيفها طريقة واحدة فحاول كل منهم أن يلتزمها ازاء كلّ الأدباء في كلّ العصور وتتمثّل هذه الطريقة في الإعتناء بنشأة الأديب وأطوار حياته، وبشخصيته، ثمّ بأدبه وخصائصه.

٣-إنّ منهج زيدان وفروخ منهج جمعي وروائي أكثر منه منهجاً نقدياً تحليليا ولم يعالجا الشخصيات والموضوعات بإسهاب، بل عالجوها باقتضاب، في حين منهج ضيف والفاخوري منهج تفسيري تحليلي يغلب عليه نمط من النقد، وفقاً لذلك يمكن القول إنّ التأليف في تاريخ الأدب على أساس المنهج الزمني يسير سيراً صعودياً كلّما تتقرّب هذه الكتب التي ألفت معتمدة على المنهج الزمني إلى العصر الراهن يزداد فيها الاهتمام بالتحليل والتعليل والتفسير، لكنّه ينقص فيها عدد الادباء إذن فمن هذا الجانب يسير سيراً نزولياً.

٤-فقد هيمن المنهج الزمني على هذه الكتب الأربعة، لكنّ المشاكل والقضايا في هذا المنهج لقد تفتّح فكر هؤلاء المؤرخين الأربعة ورأوا أنّ هذا المنهج لم يكن ليمكّنهم من التوفيق في وضع تاريخ للأدب، فوجدوا أنّ هذه الطريقة لم تعد تفي بحق دراسة أدبية لهذا انطلقوا حيناً من حدود هذا المنهج وتمسّكوا بمناهج أخرى؛ منها: المنهج الإقليمي، ومنهج الفنون الأدبية ومنهج الجنس.

الهوامش

١-(راجع طليمات والأشقر،١٩٩٢: ١٨)

٢-(راجع:زيغمي،٢٠١٦ : ٢٣١-٢٣٣)

٣-(راجع الواد، ١٩٩٣: ١٤٠)

٤-(خضر،٢٠١٦: ٢٥)

٥-(قصّاب،٢٠٠٧: ٢٣)

٦-(فيصل،١٩٨٦: ١٢)

٧-(السابق: ٣٢)

٨-(راجع آذرشب،١٣٧٦: ٢٠)

٩-(راجع بروكلمان،١٩٩٥: ٤٠-٣٩)

١٠-(الواد،١٩٩٣: ١٤١)

١١-(زيدان(ج١)،١٩٩٦: ٧)

١٢-(فروخ(ج١)،٢٠٠٦: ١٧)
١٣-(ضيف(ج١)،١٤٣١، ص: ١٥)
١٤-(فيصل،١٩٨٦ :٣١)
١٥-(الحوفي،٢٠٠٧: ٥)
١٦-(زيدان(ج١)، ١٩٩٦: ٢٣)
١٧-(راجع النجدي،١٩٣٠: ١٠)
١٨-(راجع الفاخوري(أ)،١٤٢٧: ٥٢٦)
١٩-(زيدان(أ)،١٩٩٦: ٢٥١-٢٥٠)
٢٠-(راجع فيصل،١٩٨٦: ١٧٦)
٢١-(راجع ضيف(أ)،١٤٣١: ٢٠٨-٢٠٧)
٢٢-(راجع الفاخوري(أ)،١٤٢٧: ٣٢٠)
٢٣-(الزيات،د.ت:١٩-١٨)
٢٤-(فيصل،١٩٨٦: ١٠٦)
٢٥-(راجع الفاخوري(أ)،١٤٢٧: ٣٢٠)
٢٦-(الواد،١٩٩٣: ٢٠٨)
٢٧-(راجع سليمان أحمد،٢٠٠٥: ٣٦٢)
٢٨-(راجع الواد،١٩٩٣: ٢١٢)
٢٩-(السابق: ٢١٤-٢١٣)
٣٠-(زيدان(أ)،١٩٩٦: ٢٥١-٢٥٠)
٣١-(زيدان(أ)،١٩٩٦: ٢٢٣)
٣٢-.(السابق: ١٢٩)
٣٣-(السابق(ب): ٣٠٦)
٣٤-(فروخ(أ)، ٢٠٠٦: ٧٧)
٣٥-(السابق: ٣٦٠)
٣٦-(السابق: ٣٩)
٣٧-(السابق(ج): ٦١٤)
٣٨-(الواد،١٩٩٣: ٢١٨)
٣٩-(السابق: ٢٢٣)
٤٠-(فروخ(أ)،٢٠٠٦: ٣٨٣)
٤١-(راجع سليمان أحمد،٢٠٠٥: ٢٦٥-٢٦٤)
٤٢- (زيدان(أ)،١٩٩٦: ٥٦)
٤٣-(الفاخوري(أ)،١٤٢٨: ٦٨١)
٤٤-(ضيف(ب)،١٤٢٨: ٩٦-٩٥)

٤٥-(زيدان(أ)،١٩٩٦: ٢٨٦-٢٨٥)
٤٦-(ضيف(ب)،١٤٢٨: ٣٥١)
٤٧-(زيدان،(أ)١٩٩٦: ٦٧)
٤٨-(ضيف(ج)،١٤٣١: ٢٠٧)
٤٩-(السابق:٢٢٣)
٥٠-(السابق: ٣٥٤)
٥١-(الواد،١٩٩٣: ٣٠٦-٣٠٥)
٥٢-(فروخ(أ)،٢٠٠٦: ٢٨)
٥٣-(سليمان أحمد،٢٠٠٥: ٣٦٩)
٥٤-(راجع السابق: ٣٦٩)
٥٥-(الواد،١٩٩٣: ٣١٦)
٥٦-(الواد،١٩٩٣: ٣١٥)
٥٧-(الواد،١٩٩٣: ٢٣٤)
٥٨-(زيدان(أ)،١٩٩٦: ١٥١)

أولاً:المراجع

١-بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي الحجازي، الهيئة المصرية العامة للكتابة، (لا.ب)، (د.ط)، ١٩٩٥، ج١.
٢-حسين، طه: في الأدب الجاهلي، دارالكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٣.
٣-الحوفي، أحمد محمد: أدب السياسة في العصر الأموي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٧.
٤-الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، دار الشرق العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
٥----------: في أصول الأدب، دارالرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، (لا.ب)، (د.ط)، (د.ت).
٦-زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، دارالفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ج١.
٧-سيدى، سيد حسين: بررسى انتقادى تاريخ ادبيات نگارى در ادب عربى، سخن، تهران، چاپ اول، ١٣٨٩.
٨-ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، منشورات ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٣١، ج١.
٩--------: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، منشورات ذوي القربى، قم، ط٣، ١٤٣١، ج٢.
١٠--------: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، منشورات ذوي القربى، قم، ط٣، ١٤٣١، ج٣.
١١--------: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني ، منشورات ذوي القربى، قم، ط٣، ١٤٣١، ج٤.
١٢--------: تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات مصر ، منشورات ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٢٨، ج٧.

١٣–––––––: تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات الجزائر– المغرب الأقصى– موريتانيا– السودان ، منشورات ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٢٨، ج١٠.

١٤–الطالب، حسن: مفهوم التاريخ الأدبي مجالات التوسع و آفاق التجديد، دار ابى رقراق للطباعة و النشر، الرباط، (د.ط)، ٢٠٠٨.

١٥–طليمات، غازي و عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي قضاياه.أغراضه.أعلامه.فنونه، دار الإرشاد، حمص، ط١، ١٩٩٢.

١٦–الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، منشورات ذوي القربى، قم، ط٣،١٤٢٧.

١٧–––––––: الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث، منشورات ذوي القربى، قم، ط١،١٤٢٢.

١٨–فتوحي، محمود: نظريه تاريخ ادبيات،. انتشارات سخن، تهران، چاپ دوم، ١٣٨٧.

١٩–فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، دارالعلم للملايين، بيروت، ط٨، ٢٠٠٦، ج١.

٢٠–فيصل، شكري، مناهج الدراسة الأدبيةفي الأدب العربي عرض، و نقد، و اقتراح، دارالعلم للملايين، بيروت، ط٦ ، ١٩٨٦.

٢١–قصّاب، وليد: مناهج النقد الأدبي الحديث، دارالفكر، دمشق، (د.ط)، ٢٠٠٧.

٢٢–الواد، حسين: في تاريخ الأدب مفاهيم و مناهج، دارالفارس للنشر و التوزيع، الأردن، ط٢، ١٩٩٣.

ثانياً: الرسائل والأطروحات

٢٣–أفضلى، على: نقد و بررسى معيارهاى تقسيم بندى تاريخ ادبيات عربى، (پايان‌نامه ارشد)، دانشگاه شهيد چمران، اهواز، ١٣٨٢.

٢٤–زيغمي، خالد: مناهج التاريخ الأدبي و خلفياتها النظرية خلال القرن العشرين، (أطروحة الدكتوراه)، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢، الجزائر، ٢٠١٦.

ثالثاً: المجلات والدوريات

٢٥–آذرشب، محمد على: شوقي ضيف و الأدب العربي في إيران، العلوم الإنسانية الدولية الجمهورية الإسلامية،العدد٧، صص١٨–٧، ١٣٧٩–١٣٧٨.

٢٦–أفضلي، على: نقد و بررسى دوره بندى سياسى تاريخ ادب عربى،پژوهشنامه نقد ادبى،شماره٣، صص٦٢–٤٣، ١٣٩١.

٢٧–خضر، مجد: خطوات المنهج الاستقرائي، المأخوذة من الموقع التالي:http://mawdoo3.com/ ، ٢٠١٦.

٢٨–سليمان أحمد، سامي: شخصية العدد: التوفيقية و المشروع دراسة تاريخ الأدب العربي عند شوقي ضيف، العدد٦٧.صص٣٨٠–٣٥١، ٢٠٠٥.

٢٩–سيدى، سيد حسين: تحليل انتقادى تاريخ ادبيات نگارى، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية و آدابها، العدد١٤، صص١١٨–١٠٣، ١٣٨٩.

٣٠–گنجيان خنارى، على و سيد حسين سيدى: نقد نارسائيهاى ادوار تاريخ ادبيات عربى و نامگذارى آن، پژوهشنامه نقد ادبى،شماره٣، صص١٩٠–١٦٧، ١٣٩١.

٣١-النجدي، محمد إسماعيل جادو: خطرات في الأدب: الأدب و السياسة، البلاغ الأسبوعي، العدد١٧٣، صص١٥-١٤، ١٩٣٠.

First: References

1. Alfakhori, H. Inclusive in the history of the modern Arabic literature, Qom: Zoi Al-Qarabi,2001.
2. Alfakhori, H. Inclusive in the history of the old Arabic literature, Qom: Zoi Al-Qarabi,2006.
3. Al-Hofi, Ahmed Mohamed: Sassi's literature in the Umayyad era, the printing house: Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 2007.
4. Altaleb, Hassan: The Concept of a Literary History, The printing house: Dar Abi Farqraq for Printing and Publishing, Rabat, 2008.
5. Alwad, HIn the history of literature, Concepts and methods, Jordan: Dar Alfares Le Nashr Va tozye,1993.
6. Al-Zayat, Ahmed Hassan: In the priciples of literature, the printing house: Dar Al-Rasala for Printing, Publishing and Distribution.
7. Brooklyn, Carl: The History of Arabic Literature, the translation of Mahmoud Fahmi al-Hijazi, Printing House: Egyptian General Writing Authority, ١٩95.
8. Faisal, Sh. Curriculum literary study in Arabic literature, Beirut: Darol Elm Lelmalayin,1986.
9. faroukh, O. The history of Arabic literature, Beirut: Darol Elm Lelmalayin,2006.
10. Fotoohi, M. Theory of history of literature,Tehran: Publishing sokhan,2008.
11.Ghasab, Waleed: New Literary Criticism, Printing House: Daral Fakar, Damascus, 2007.
12. Hussein, Taha: In the literature of Jaheli (ignorance), the printing house: Dar al-Kabul al-Bjelani, Beirut, 1973.
13. Sayedi, H. A critical study of literary history writing in Arabic literature ,Tehran: Publishing sokhan,2010.
14-Talithom, Ghazi and Erfan Alshqr: Jaheli (ignorance) literature, its history, goals, distinguished and techniques, printing house: Dar al-Ersad, Homs, 1992.
15. Zaidan, G. History literature of Arabic language, Beirut: Dar Al-Fikr,1996.
16. Zaif, Sh. The history of Arabic literature, the age of governments and emirates (Egypt) Qom: Zoi Al-Qarabi,2007.
17. Zaif, Sh. The history of Arabic literature, the age of islamic, Qom: Zoi Al-Qarabi,2010.
18. Zaif, Sh. The history of Arabic literature, the age of pre-islamic, Qom: Zoi Al-Qarabi,2010.
19. Zaif, Sh. The history of Arabic literature, the age of frist Abbasid, Qom: Zoi Al-Qarabi,2010.
20. Zaif, Sh. The history of Arabic literature, the age of second Abbasid, Qom: Zoi Al-Qarabi,2010.
21. Zaif, Sh. The history of Arabic literature, the age of governments and emirates alJazair, almaghrib alaqsy, Mauritania, alSudan, Qom: Zoi Al-Qarabi,2010.
22. Zayat, Ahmed Hassan: The History of Arabic Literature, The printing house: Dar Al-Sharq Al-Arabi for Printing, Publishing and Distribution, Beirut.

Secondly: Thesis and Dissertation

23. Afzali, A. A critique and Evaluation of Classification criteria history of Arabic literature, Master's thesis, Ahvaz: Shahid ChamranUniversity of Ahvaz,2003.

24.Zoghmi, Khalid: Methods of Literary History and Its Theoretical Background (literature) in the 20th Century (Ph.D. Thesis), Mohammad Lomin Daghagin Sufi 2, Algeria, 2016.

Thirdly: Magazines and Journals

25.Afazli, Ali: A Review of Political Periods in the History of Arabic Literature, Literary Criticism Research, No. 3, pp. 62-43, 2012.

26.Al-Najadi, Mohammad Isma'il Magic: Dangers in Literature: Literature and Politics, Journal: Al-Balagh-al-Awsawi, No 173, pp. 15-14, 1930.

27.Azarsab, Mohammad Ali: Shoghi Zeif and Arabic Literature in Iran, Journal: Islamic Republic of Iran International Journal of Humanities, No. 7, pp. 18-7, 2000-1999.

28.Ganjian Khannari, Ali and Seyyed Hossein Seyedi: A Critique of Arabic Failures in the History of Arabic Literature and its Naming, Literary Review Research, No. 3, pp. 190-167, 2012.

29.Khidr, Majd: Reasoning syllabus, taken from the site: http://mawdoo3.com/, 2016.

30.Suleiman Ahmad, Samy: A Study of the History of Arabic Literature by Shoghi Difi, No. 67, pp. 380-351, 2005.

31.Seyyedi, Seyyed Hossein: A Critical Analysis of the History of Literature, Journal of the Iranian society of Arabic language and literature, No 14, pp. 11-10, 2011.